

الطرائف فى المتاحف

— ٢ —

المتحف القبطى (١)

للاستاذ صبرى قريه

المعادن :

إذا انتقلنا إلى بحث المعادن وجب علينا أن نلاحظ ملاحظة فنية ما نراه من قلة الأواني والأدوات المعدنية ، التى تنشأ من صعوبة الحصول على المواد الخام المعدنية للديرة البعيدة عن شواطئ النيل ، والمتغلغلة فى قلب الصحراء ، فى قلب الصحارى والوديان كان الرهبان يحترقون مختلف الحرف التى تنطوى على الزخرفة وغيرها من نسج الأقمشة وصناعة التعدين والتكفيت ، وإتانا لتأسف لقلة المواد التاريخية التى نجبرنا عن كيفية احتراف الرهبان بصناعة التعدين . إلا أن هناك بعض قطع فخار ذات نصوص قبطية تنبئ عن معيشة الرهبان فى الديرة وعن بعض الصناعات التى كانوا يقومون بها فيها .

وكان استعمال المعادن فى العصر القبطى قاصراً على الأدوات الكنسية الصغيرة ، مثل صناديق الأناجيل والمباخر والصلبان والشمعدانات والمسارج الصغيرة التى يستعملونها فى المنازل ، إلا أن هذا لا يؤخذ به كدليل قاطع على عدم احتراف الاقباط صناعة التعدين . على أن الأقباط اشتهروا من قديم الزمان بصياغة الحلى الدقيقة التى مازال أثرها حتى اليوم . وأهم محتويات المتحف القبطى من الادوات المعدنية هى : —

١ — مجموعة من الاطباق النحاسية والفضية عثر عليها فى كنائس مصر القديمة وأهمها : صينية من النحاس جىء بها من كنيسة أبى سيفين وعليها نصوص عربية هى . « الملك الأكرم ، صاحب السيف والقلم نصر لمولانا .. الملك المالك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الاسلام والمسلمين محي العدل فى العالمين » ومما يسترعى النظر أن الكتابة يتخللها جامات داخلها أربعة (رنوك) إشارات (٢) متداخلة ببعضها ، وهى (الدواة والسيف والبقجة والكأس)

(١) راجع مجلة المعرفة ج ٤ (٢) انظر مقال فى مصر الحديثة تحت عنوان الرنوك والشارات ومدلولات الالوان.

إشارة لسعة قدر صاحبها وكثرة وظائفه ، وهنالك كتابة أخرى نصها : « فاطمة بنت صاحب عبد الرحمن سنة ١١٣٣ هـ » و يظن أنها السيدة التي آلت إليها .

٢ — مجموعة من الصواني المستعملة في الخدمات الدينية يرى على معظمها نصوص بالقلم القبطي تتضمن طلب الرحمة لأنفس قد يسين توفاهم الله ، وبينها صينية عليها أربع أسماك بشغل الحفر . ويدخل ضمن هذه المجموعة أيضاً عدة أباريق وطسوت تستعمل لغسل أيدي الكاهن قبل تقديمه القران وبينها طست على حافته العليا ١٢ دائرة بارزة بها آثار تزييل بالمينا الزرقاء وهذا هو المثل الوحيد الموجود بالمتحف الذي يدل على تزييل المينا على المعادن .

٣ — مجموعة من المباخر الخشبية — أو المصنوعة على الخط الخشبي — وتمتاز عن باقي المباخر القبطية بضخامة حجمها وبالأجراس الكثيرة المتدلية من سلاسلها .

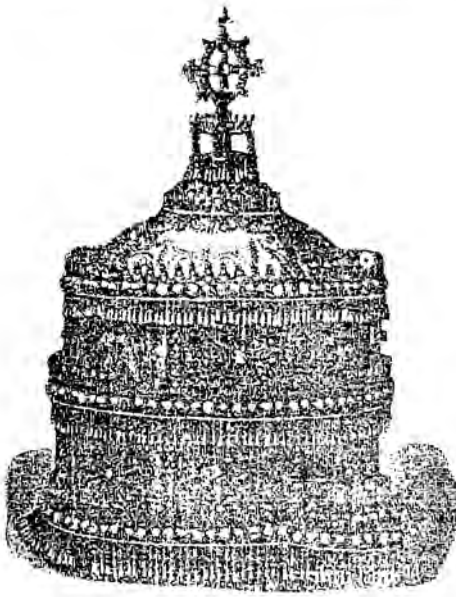


(لوحة من خشب الجوز)

٤ — مجموعة من الشمعدانات المصنوعة من البرونز (الشبهان) والنحاس وعلى بعضها آثار تكفيت بالفضة بزخارف نباتية ونصوص عربية فيرى على إحداها النص الآتي : « لصاحبة

السعادة والسلامة وطول العمر مافاحت حمامة ... » وعلى آخر : « المعز العالي المولوى الامير المالكى العالمى المجاهدى الم رابطى المؤيدى الظلى ... » ثم على آخر « المعز لدين الله العالى المولوى » مكررة أربع مرات متواليات . وقد جيء بمعظم هذه الشمعدانات من كنيسة الملاك القبطى بمصر القديمة . وهنالك أيضاً بابان من الخشب المصنوع بشرائط ودوائر من البرونز المسبوك على أحدها نص جنازى بالقلم اليونانى معناه « يا الله الواحد ! ... ! أعن المتوفاة الراقدة فى هذا المكان بسلام » مما يدل على استعماله لمقبرة .

٥ — مجموعة من متاديق النفضة المعدة لحفظ الأناجيل وعلى سطوحها الخارجية آيات من الاناجيل باللغة العربية والقبطية بحروف بارزة يتخللها زخارف هندسية ونباتية يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر ، وعلى أغلبيتها وقيقات الكنائس التي كانت مستعملة بها .



٦ — التيجان : ويوجد تاجان من النوع الخبشي أحدها للعتيج الأناكر لص الخامس البطريك السالف . أهدى له من قبل أحد أمباطرة الحبشة وقد أهداه إلى المتحف ثيافة الأناكر بوانس — البطريك الحالي — مع مجاميع مقدسة أخرى . وهذا التاج اسطوانى الشكل عليه تقاسيم بداخلها رسوم العذراء ومارى جرجس والملائكة بالحفر وزين هذا التاج أحجار مثلاً لثة تأخذ بالابصار ، أما التاج الثانى فكروى الشكل تقريباً .

٧ — مجرعة من الصليان بعضها من الفضة والآخر من البرونز والنجاس وكان يستعمل الكبير الحميم منها في الاحتفالات الدينية ، (تاج حبنى من الذهب المرصع بالمجارة الكريمة) والصغير منها للتعليق بين الصدور والنحور ، بين ربات الخدور ، وعليها أشكال المسيح والعذراء ومناظر دينية أخرى .

الأقمشة :

وهنا تعالوا بنا نستمع ما يقوله الأستاذ ودع افندى هذا المتخصص في الآثار من الجامعة المصرية ، « كانت نعمة بنت مالك ووالدها صلت ، أول من اخترعنا غزل الصوف ونسج الأقمشة والنقش عليها ، ومنهما ورث مصر ايم — الذى تنسب اليه مصر — مهنة عمل الصوف ونسج الأقمشة فعممها بين أبناء جلدته ، حتى برع فيها أكثر من كل أخوته الذين عمروا البلاد الأخرى ، فأنشأ لها المعامل الكبيرة في مصر وقد شهد بذلك حزقيال النبي في الاصحاح ٢٧ العدد ٧ إذ يقول : « كتان مطرز من مصر هو شراعت ليكون لك راية .. الخ »

ولما كانت مصر غنية جداً بكتانها نجد أن جثة المتوفى في عهد الفراعنة تلف بلوائف من الكتان يتراوح طولها بين (٤٠٠) الى (٧٠٠) متر . واستعمل أيضاً في ملابس الكهنوت (الفرعونية والمسيحية واليهودية) وكان عند ما يصنع بألوان مختلفة يرمز إلى معان متنوعة فلا يبيض مثلاً هو رمز الطهارة والصلاح .

وقد برع الاقباط خاصة في صناعة النسيج حتى كادوا يتفوقون على معاصريهم من الأمم

الأخرى ، فهى أمثلة من بقايا ملابسهم القديمة التى عثر عليها فى الجبانات . والمقابر القبطية معروضة فى معظم متاحف ومكتبات العالم .

واشتغل الرهبان أيضاً فى صناعة النسيج بالأديرة إذ عثر على جدران هذه الأديرة على بعض نصوص قبطية لارشادهم عن هذه الصناعة .

واشتهرت بعض المدن المصرية بمصانعها الكبيرة فهناك (دمياط وتبنس وأخميم) التى مازالت ذات شهرة فى البلدان بصناعاتها ومنسوجاتها . وقد وصلت الينا نماذج عن طريق المقابر لأن القبط كانوا يختارون لجباناتهم المحلات الجافة فى الصحراء فيدفنون موتاهم بانحر ملابسهم وحليهم .

وتتكون القطع المعروضة الآن من أجزاء مستديرة أو مستطيلة وأحياناً شرائط كانت تنسج على أفراد بواسطة الانوال من خيوط ملونة من الصوف فتخاط بعد ذلك بالتياب ، ومما يستلفت النظر فى هذه القطع هو ثبات ألوانها ودقة رسومها رغم مرور العصور المتعاقبة . وأهم التياب التى اشتهر الاقباط بصناعتها هى القباطى (جلايب) كانت تنسج بألوانها ورقبتها قطعة واحدة . وكذلك كان لهم نوع آخر من النسيج يسمونه المقصب لانهم يستعملون فيه خيوطاً من الفضة وخلافها .

وتقسم معروضات المتحف الاقمشة الى نوعين رئيسيين : الاول يرجع تاريخه الى ما بين القرنين الثالث والثامن والاخر الى ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر الميلادى .

فأهم طرف القسم الاول هى : قطع نسيج مستطيلة من الكتان والصوف عليها رسم مدخل معبد قديم تعلوه كتابة قبطية ورسوم طواويس بألوان مختلفة — والطاويس رمز الابدية فى العصر المسيحي — وبوسط القطعة رسم العنخ (رمز الحياة) عند قدماء المصريين ، ومما يسترعى النظر بنوع خاص أن بهذه القطعة يرى حرفان قبطيان هما من كلمة المسيح (ك . ر . أى كريستوس) وفى هذه القطعة دلالة على ربط الطقوس المسيحية بمسحة فرعونية كما ذكرنا فى مقالنا السابق ، ويغلب على الظن أن هذه القطعة كانت تعلق على الجدران . كما تعلق السجاجيد وغيرها اليوم . لغرض الزينة .

وهذه القطعة ترجع الى القرن الرابع الميلادى (أى الى ما قبل ١٥٠٠ سنة) وقد عثر عليها بجهة أسيوط .

وتليها فى الأهمية قطعة عليها رسم أربعة أوجه رسمت بغاية الدقة والاتقان لأنها ترمز

الى أربعة فضائل مسيحية : المحبة ، الرأفة ، السهولة ، التواضع . بحيث إن الناظر اليها يقين .
من الملاح ما يرسم على صاحبها من الفضائل المذكورة .
و يدخل ضمن مجموعات الاقمشة عدد من الصنادل (الجزم) القديمة المصنوعة من الجلد
الموشى بالذهب ، وكذلك مجموعة من قطع العاج التي كانت مستعملة كعرائس ولعب للاطفال
وقد عثر على معظمها بجبهات أخميم .



بدلة كهنوتية للبترك (البطرشيل)

أما القسم الثاني من الاقمشة فيشمل جملة ملابس
كهنوتية تستعمل في الاحتفالات ويرتديها الكهنة
والبطارقة أثناء الصلاة . وهي على سبعة أنواع
أهمها صنف يسمى (بالبطرشيل) وهي خاصة
بالبطارقة عليها رسم الاثنى عشر رسولا مطرزة
بخيوط من الفضة تعلوها كتابات ونصوص قبطية
وعربية تتضمن أسماء البطارقة الذين كانوا
يرتدونها .

ويشمل هذا القسم أيضا مجموعة من الستائر
التي توضع على أبواب الهيكل يرجع تاريخ أقدمها
الى القرن السادس عشر ، جى ، بها من كتائن القاهرة .

الفخار والزجاج

تعد صناعة الفخار من أقدم الصناعات المضرية التي يرجع تاريخ منشأها الى ما قبل الاسرة
الاولى بدليل ما اكتشف من هذا النوع من الاواني المطلية بألوان زاهية . وكذلك التماثيل
الصغيرة التي بينت أن هذه الصناعة وصلت منذ ذلك العهد الى أرقى مراتب الكمال . وبديهي
أن صناعة الخزف والفخار تحتاج الى مهارة بممارسة وطول زمان . وقد اقتصر الاقبال من صناعة
الفخار على ثلاثة أنواع :

الاولى الازيار المعدة لحفظ الخمر وتبريد الماء ، والثانية الاطباق المزينة بأشكال مختلفة من صور
الحيوانات والانسان بالمغرة الحمراء . وأخص الرسوم التي كانت عليها هي سنابل القمح . والثالثة
المسارح ، وكانت ترين برسوم الضفادع .

والفخار المعروض بالمتحف على نوعين الاول يشمل بقايا الاطباق والاسلطين التي صار
اهدائها من دار الآثار العربية ، وأصلها من مخلفات مدينة القسطنطينية في العصر الاسلامي

وهي على أنواع، منها قطع عليها رسوم هندسية ونباتية وصور حيوانات بارزة، ومنها قطع كساقمتها مطلية بالميناء ذات البريق الذهبي وعلى كثير منها أسماء أعلام أو المصانع التي عملتها أو الاشخاص الذين صنعوها.

و يدخل ضمن هذه القطعة مجموعة من شبائك القلال المفرغة بأشكال نباتية وهندسية وحيوانية بل نصوص وحكم مثل (طف من خف) و (خف تعاف).

أما الزجاج فالمجموعة بالمتحف محدودة صغيرة أهمها صينية من كنييسة المعلقة عليها ثلاث دوائر بالميناء الحمراء على أرضية زرقاء وبيضاء وكذلك بيضة تستعمل فوق المشكاوات عليها بالميناء الزرقاء ما يأتي :

« المقر الاكرم العالى المولى المالكى الصالحى المالكى المحدثى السيقى صرغتمش »

الصور

إن أهم الاشياء التي صنعها الاقباط في كنائسهم هي : صور القديسين ومازال عدد كبير منها باقياً حتى الآن بالأديرة والكنائس والناظر الى هذه الصور وهي تعلو أحجبة الهيكل بأرضياتها المذهبة يتمثل فيها روعة الفن الذي يظهر دعة الوجود.

وأقدم هذه الصور هي التي عثر عليها بجهة باربط وسقارة ويرجع تاريخها للقرن الخامس الميلادي . وتمتاز الصور القبطية بأنها مرسومة على الجص المصق على الخشب . وكان الاقباط يستعملون في تصويرهم زلال البيض عوضاً عن الزيت .



القديس مرقوريوس (أبوسيفين)

ومن أجمل الصور المحفوظة بالمتحف صورة العذراء حاملية المسيح . وكذلك جملة صور

تمثل الشهداء كمارى جرجس وأبي سيفين وغيره